المصطلح القرآني ومنهج استيعاب الواقع

د.محمد حجولي

دكتوراه في الفكر الإسلامي، جامعة السلطان مولاي سليمان

hajjouli@gmail.com

المملكة المغربية

الملخص:

يهدف منهج القرآن الاستيعابي وظيفيا إلى الإصلاح والتغيير، ويهدي للتي هي أقوم، ويعالج الإشكالات المنهجية والمعرفية، فهو قادر على استيعاب الإنسان والكون وذلك من خلال تقديم قراءتين قراءة متفهِّمة للقرآن الكريم أولا، ثم قراءة الكون المفتوح للعقل الإنساني ثانيا. من ثم يمكن الحديث عن قراءة نسقية قرآنية خاصة تنطلق من دراسة المصطلح القرآني، مرورا بالكشف عن الناظم المنهجي القرآني، وصولا إلى مواجهة قضايا الحياة المعاصرة إذا أحسن القارئ قراءته أولا، وقراءة الكون ثانيا، وتفهم الواقع وإخضاعه لمناهج القرآن المجيد بفهم معاصر وفق الهدي النبوي الكريم، ليصبح القرآن العظيم المصدر الأساس لتشكيل مناهج الحياة المعاصرة فكريا وثقافيا وعمرانيا وحضاريا.

الكلمات المفتاحية: المنهج النسقي في فهم القرآن الكريم، القراءة الاستيعابية الوظيفية للقرآن، منهج القراءتين في القرآن والكون، المصطلح القرآني وبناء النسق المنهجي، تنزيل المنهج القرآني على الواقع المعاصر

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر

https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

مقدمة

يتميز القرآن الكريم ببنائية خاصة، سواء على المستوى المصطلحي أو على المستوى المعنوي، وبترتيب وتركيب توقيفيين، وبأن مصطلحه واحد لا يتبدل ولا يتغير لكن قراءاته تختلف، وليس بين مصطلحاته تنافر وانعدام نظام، كل هذه السمات أعطت للقرآن وحدته العضوية، ونسقيته المختلفة والمتعالية.

تتميز نسقية القرآن بعدة علاقات داخلية بين مصطلحاته، هذه العلاقات يحكمها نظام، بدليل التسمية الاصلية للنص القرآني "قرآن" والمشتقة من فعل "قرأ" الذي يفيد الضم والجمع.

وبالتالي نطرح السؤال الأساس هل يمكن الحديث عن نسقية قرآنية خاصة؟ وهل يمكن للمصطلح القرآني استيعاب الواقع وظيفيا، منهجيا، ونسقيا؟

تكمن أهمية هذا البحث في الكشف عن نسقية القرآن الكريم الخاصة، وعن منهج القرآن لاستيعاب الواقع المتغير.

اعتمدت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال عرض وتتبع الآيات القرآنية، وتركيب المعاني، ثم تحليلها بعمق.

لقد قسمت هذا البحث إلى مدخل تمهيدي، وثلاثة مطالب، عرضت في المدخل التمهيدي تعريف النسق والنسقية القرآنية، وفي المطلب الأول بسطت فيه نسقية المصطلح القرآني المرجعية، من حيث إنها قابلة للتشكل من أجل بناء المفاهيم من خلال التحليل الدلالي فينتج إطارا مرجعيا قادرا على إحداث تغييرات كبيرة في البنية الاجتماعية العربية، ثم في البنية العقلية للمتلقي بصفة عامة.

أما المطلب الثاني فبينت فيه العلاقات متعددة الموجودة ما بين النص القرآني والواقع والتي يمكن إجمالها في علاقتين، العلاقة الأولى تتخذ مسارها من الأعلى إلى الأدنى، من عند الله تعالى إلى الواقع الإنساني، وعلاقة ثانية تنطلق من الأسفل إلى الأعلى، من عند الناس إلى الله تعالى.

مدخل تمهيدي

لا تكاد تجد علما من العلوم لا يعتمد المنهج النسقي، والنسقية في ترتيب الأفكار والمعلومات، فالنسق هو نظام كوني تخضع له كل العلوم، فنجد النسق الطبي، والنسق الاجتماعي، والنسق الجغرافي، والنسق التاريخي، والنسق الكيميائي، ونسق ميكانيك الكم وعندنا المنهج النسقي القرآني....

رغم هذا التشابه من حيث التوصيف، ومن حيث تعريف النسق لغة، لكن يبقى كل علم يستأثر بنسقيته الخاصة التي لا تسع علما آخر.

أ- تعريف النسق لغة واصطلاحا

النون والسين والقاف أصل صحيح يدل على تتابع في الشيء. وكلام نَسَق: جاء على نظام واحد قد عُطف بعضه على بعضه[1].

[1] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م، ج5، ص 421.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

النسق من كل شيء، ما كان على طريقة نظام واحد، عام في الأشياء...نَسَقَ الشيءِ يَنْسُقُه نَسْقا ونسَّقه نظمه على السواء...والاسم النَّسَق...والنَّسْقُ، بالتسكين: مصدر نَسَقْتُ الكلام إذا عطفت بعضه على بعض؛ ويُقال نَسَقْتُ بين الشيئين وناسَقْت[1]. وفي المعجم الفرنسي LAROUSSE تعني كلمة نسق/نظامSYSTEME مجموعة منظمة من المبادئ المنسقة بحيث تشكل كلا علميًا أو مذهبيا: مثل النسق/النظام الفلسفي[2].

النسق لغة يفيد التنظيم، والنظام، والنظم، والانتظام، والترتيب بطريقة ما، يحدث نظاما معينا موسوما بخصائص معينة، هذا الترتيب يكون إما عطفا، أو تتابعا، أو بالتوالي قصد الحصول على نظام واحد.

لا يمكن الحديث عن النسق من حيث الاصطلاح، ولا نستحضر معناه واستعماله الفلسفي والديني، وهكذا عرفه لالاند في موسوعته، حيث قال" نسق، نظام/منظومة: جملة عناصر، مادية أو غير مادية، يتعلق بالتبادل، بعضها ببعض، بحيث تشكل كُلاً عضويا كالنظام المدرسي، الجهاز العصبي... ليس النسق شيئا لآخر سوى ترتيب مختلف أجزاء فن أو علم في ترتيب تتآزر فيه كلها تآزرا متبادلا، حيث تُفسَّر الأجزاء الأخيرة بالأجزاء الأولى"[3].

يفيد مصطلح النسق أيضا الترابط كما ذهب إلى ذلك **رولاند بارت** في كتابه عناصر السيميولوجيا – Eléments de sémiologie – حيث قال" إن تحليل مستوى الترابط المتداعي قد تطور منذ دوسوسير تطورا ملحوظا، بل تغير لفظه وتبدل، فنحن الآن نتحدث عن المستوى النموذجي البنيوي paradigmation بدل المستوى السياقي systématique[4].

عرفه آخرون ب " ما يحكم العلاقة بين العناصر اللسانية ومستوياتها، ويربط بعضها ببعض هو ما يطلق عليه بالنسق، وأي اختلال في هذه العلاقة بين العناصر تُفْقِد النسق توازنه، وتغير معالمه...ويشير أيضا إلى مجموعة من القواعد التي تربط فيما بينها"[5].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، الطبعة السادسة، 2008م، (مادة نسق)

[2] **Système** : Nom masculin ; (bas latin *systema*, du grec *sustêma*, composition)
Ensemble organisé de principes coordonnés de façon à former un tout scientifique ou
de Doctrine : Système philosophique. un corps
https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/syst%C3%A8me/76262

[3] موسوعة لالاند الفلسفية، لرولاند بارت، درس السيميولوجيا، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثالثة، 1993م، ص 417.

[4] لرولاند بارت، درس السيميولوجيا، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثالثة، 1993م ص 25. فيرديناند دوسوسير، علم اللغة العام ص 143.

- **Le système** : constitue le second axe du langage. Saussure l'a vu sous forme d'une série de **champs associatifs**, les uns déterminés par une affinité de son (enseignement, armement), les autres par une affinité de sens (enseignement, éducation) … **Eléments de sémiologie ; Roland Barthes p 121.**
- Le rapport syntagmatique repose sur deux ou plusieurs termes également présents dans une série effective. Au contraire le rapport associatif unit des termes dans une série mnémonique virtuelle. **Cours de linguistique générales, Ferdinande de Saussure, Payot, Paris, 1971, p 200.**

[5] أحمد يوسف، القراءة النسقية: سلطة البنية ووهم المحايثة، الدار العربية للعلوم – ناشرون، الطبعة الأولى، 2007م، ص 116.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

ب- النسقية القرآنية

يتميز القرآن الكريم ببنائية خاصة، سواء على المستوى المصطلحي أو على المستوى المعنوي، فضلا عن الترتيب والتركيب التوقيفيين، كل هذه السمات أعطت للقرآن وحدته العضوية، فالمصطلح القرآني واحد لا يتبدل ولا يتغير لكن قراءاته تختلف" تبعا للتركيب النوعي في تطور العقل البشري، فلكل حالة عقلية تاريخية إسقاطاتها الذهنية الخاصة بها على القرآن تبعا لمبادئها العقلية وأشكال تصورها للوجود. أما النص فهو ثابت، ليس على مستوى الكلمة ولكن على المستوى الحرف"[1].

ليس بين مصطلحات القرآن الكريم تنافر وانعدام نظام" بل يتواقف بعضها على بعض بإحكام، وتستمد معانيها العيانية من نظام العلاقات المحكم بينها، على وجه الدقة...إنها تشكل بين أنفسها مجموعات متنوعة كبيرة أو صغيرة، ثم تترابط هذه المجموعات بدورها بأشكال متنوعة. وبذلك فإنها تؤلف في النهاية مجموعا كليا منظما[2]، فإيزوتسو لا يتوقف عند المعاني القرآنية معزولة ومجتزأة بل يدعو إلى ضرورة دراستها ضمن نسق عام أو نظام كلي، فهو يعتبر هذه القراءة النسقية مدخلا لمعرفة الرؤية القرآنية إلى الكون والحياة.

تعتبر وحدة النسق خصيصة من خصائص السور القرآنية، والتي تعني تماسك بناء السورة القرآنية واتساق معانيها المتعالية التي تتضمنها ضمن غرض محوري واحد دون تنافر أو تفكك، فالحقيقة أن معظم السور القرآنية متعددة المواضيع، ولكنها مع تعددها متحدة في هدف واحد عام تتجه إليه، ملتحمة في نسيج واحد دون تنافر أو تفكك[3].

المطلب الأول: المصطلح القرآني بين النسقية المرجعية والتحليل الدلالي

إن كلمات القرآن الكريم متناهية من حيث العدد، لكن من حيث المعاني فهي غير متناهية، ولا يمكن أن تحتوي معاجم اللغة العربية إطلاقا على المعاني المطلقة المتناهية وإنما تبقى نسبية "ولذلك فتفسير هذه الالفاظ يجب ألا يقف عند معانيها التي عُرفت في اللسان العربي، وفي معاجمه. صحيح أن القرآن العظيم نزل بلغة العرب، لكن ألفاظه وكلماته وأساليبه أجل وأعظم من ألفاظهم وأساليبهم، ولا يجوز ان تُفسّر بمجرد ما كانت عليه في كلامهم"[4].

من أجل ذلك اهتم علماء التفسير بالعلوم اللفظية كما وصفها الراغب الأصفهاني ومن أهم العلوم اللفظية، تحقيق الالفاظ المفردة لتحصيل المعاني[5] ف " ألفاظ القرآن هي لب الكلام وزبدته وواسطته وكرائمه. وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم. وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم"[6]. الاهتمام بدراسة المصطلح القرآني أولى الأولويات والمدخلات لبيان وتحقيق دقة الاختيار المصطلحي وحسن توظيفه، لأن " القرآن ممنهج بالاستخدام الإلهي لمفردات اللغة العربية على مستوى الاصطلاح الدقيق"[7]، ولأنه "مصطلح الذات الذي هو خزان الممتلكات، والذي يجب أن يكون على

---

[1] محمد أبو القاسم حاج حمد، منهجية القرآن المعرفية، تحقيق محمد العاني، دار الهادي، بيروت، لبنان،2003م ، ص 96.

[2] توشيهيكو إيزوتسو، الله والإنسان في القرآن، ترجمة هلال محمد الجهاد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2007م، ص 34.

[3] رشيد الحمداوي، وحدة النسق في السورة القرآنية، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد الثالث، 2006م، ص 138.

[4] أحمد أبو زيد، عنوان مدخل لدرلسة جهود المفسرين في تفسير المصطلح القرآني، مجلة درلسات مصطلحية، العدد الثاني 1423ه- 2002م، ص 20.

[5] أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان بدون سنة الطبع، ص 6.

[6] المرجع السابق.

[7] محمد أبو القاسم حاج حمد، منهجية القرآن المعرفية، ص 98.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

راس الأولويات، فلا يكاد للأسف يحظى بأدنى التفات"[1]، خاصة مع تغير المفاهيم في ذهن العربي عبر الزمن، وورودها من خلال مناهج معرفية وافدة.

أ – المصطلح القرآني والنسق المرجعي

يحتوي القرآن الكريم على عدة علاقات داخلية بين مصطلحاته، هذه العلاقات يحكمها نظام، بدليل التسمية الاصلية للنص القرآني "قرآن" والمشتقة من فعل "قرا" الذي يفيد الضم والجمع[2]، هذا الضم لا يقوم إلا إذا كان بين عناصره تعلق وتناسق، أو بين السابق واللاحق وتفيد أيضا "التتبع"، ومن ذلك **قرا** الأمر **واقتراه:** تتبعه. ومنه أيضا قروت البلاد قروا وقريتها قريا، واقتريتها، واستقريتها إذا تتبعتها تخرج من أرض إلى أرض[3]، كل ذلك يعني " دعوة العقل إلى قراءة العلاقات بين الأشياء، ثم توظيف تلك القراءة في تحصيل أنماط جديدة من الفهم، أقل ما يمكن أن يقال عنها أنها أنماط علائقية يُراد لها أن تعمل على تعديل أدواتها وإجراءاتها ومقولاتها كي تنسجم مع التأسيس القرآني للممارسة اللغوية التي صارت ممارسة نصية بامتياز، تنطوي في مكنونها على صيغة جديدة لمحتوى المعرفة ومعنى المعروف المنبثق من الصفة النوعية للشيء المُدرك ومن الطبيعة البنيوية لقرآنية النص"[4] فالقرآن الكريم لا يأخذ معياره من الخارج، وإنما معياره داخلي فيه[5] لأنه "نَظْمٌ" كما تحدث عن ذلك عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز[6].

ينماز القرآن الكريم بنظم يوجب " النظر إلى أجزائه في تآلف بعضها مع بعض لكي نعرف الأسباب التي دعت إلى وضع أحدها حيث وُضع، والتي اقتضته بحيث أنه لو وُضع في مكان آخر، لاختل النسج أو البناء كله. هكذا لا تتفاضل الكلمات من حيث هي ألفاظ مفردة، بل من حيث نسجُها ودرجة التلاؤم بين معناها ومعنى اللفظة التي تسبقها واللفظة التي تليها"[7] وله أيضا منهجيته التي تعتبر كناظم مقنن لإنتاج الأفكار ذات النسق الواحد، "ويحمل ضمن وحدته العضوية منهجية كاملة، التي تعني خروج العقل من حالة التوليد للمفاهيم إلى اكتشاف النسق المرجعي"[8]. فهذه الكلمات أو المفاهيم لا توجد هكذا بساطة في القرآن بحيث تكون كل منها معزولة عن الأخرى، بل يتوقف بعضها على بعض بإحكام، وتستمد معانيها العيانية من نظام العلاقات المحكم بينهما على وجه الدقة، إنها تشكل بين أنفسها مجموعات متنوعة كبيرة أو صغيرة، ثم تترابط هذه المجموعات بدورها بأشكال متنوعة، وبذلك فإنها تؤلف في النهاية مجموعا كليا منظما، وشبكة غاية في التعقيد والتركيب من التداعيات المفهومية[9].

---

[1] الشاهد البوشيخي نحو تصور حضاري شامل للمسألة المصطلحية ، مجلة دراسات مصطلحية، العدد الثاني2002م، ص 67.

[2] قال ابن منظور في لسان العرب قَرَيْت الماء في الحوض: جمعته، والمِقْراة: الحوض العظيم يجتمع فيه الماء. ابن منظور، لسان العرب (مادة قرا).

[3] المرجع السابق.

[4] ـباب العياط نورـالدين، النص القرآني دراســة بنوية، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران أحمد بن بلة، الجزائر، الســنة الجامعية2015/2014 ص 71.

[5] أدونيس، النص القرآني وآفاق الكتابة، دار الآداب، بيروت، بدون سنة الطبع، ص 28.

[6] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 55.

[7] أدونيس، النص القرآني وآفاق الكتابة، ص 26.

[8] محمد أبو القاسم حاج حمد، منهجية القرآن المعرفية، ص 35.

[9] توشيهيكو إيزوتسو، الله والإنسان في القرآن، ص 44.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

لذلك فالنسق المرجعي القرآني قابل للتشكل من أجل بناء المفاهيم، الذي" يقتضي الإسهاب التحليلي، بمعنى القدرة على فك الوحدة إلى عناصرها، والتمحيص في الجزئيات"[1] كي يفحص العينة/الاصطلاح فينتج إطارا مرجعيا قادرا على إحداث تغييرات كبيرة في البنية الاجتماعية العربية، ثم في البنية العقلية للمتلقي بصفة عامة.

وتعتبر آن سيلفي بوليفو **Anne-Sylvie Boisliveau**، وهي من الباحثين الغربيين الذين أبرزوا المرجعية الذاتية للخطاب القرآني، وذلك من خلال دراسة جميع مفردات (المرجعية الذاتية المباشرة أو غير المباشرة **l'autoréférence directe et l'autoréférence indirecte**) التي تحيل إلى الذات كمرجعية، مثل "كتاب"[2] و"قرآن"[3] و"ذكر"[4] و"آية/آيات"[5] و"سورة"[6] و"المثاني"[7] و"الفرقان"[8] و"الحروف المتقطعة"[9]. قامت فدراستها على تتبع المصطلحات القرآنية حسب تفهم المعجميّين القدامى، وبعد ذلك تقدم الدرس الفيلولوجي الحديث، إلى جانب دراسة كل هذه المصطلحات من خلال سياقاتها القرآنية.

بل الأجدر من ذلك، ومن أجل إثبات هذه المرجعية الذاتية تقول بوليفو أن المصطلحات القرآنية ليست مستمدة من اللغة السريانية كمصطلح القرآن حيث قالت في هذا الموقف" الاسم الذي أطلقه القرآن على نفسه بامتياز هو القرآن/ التلاوة، مع مصطلح الكتاب ومصطلح الذكر، فالقرآن هو الاسم الأكثر استخداما في القرآن ليعين نفسه، حيث ذُكر هذا المصطلح سبعين مرة خلافا للكتاب والذكر"[10].

وترمي آن سيلفي بوليفو إلى معالجة قداسة القرآن لا بطريق مباشر من حيث عملية إعلان سلطة أنجزت فعلا في الجماعة المسلمة، ولكن من خلال التعبير عن هذا الإعلان عن السلطة في النص القرآني نفسه، وتعتبر الخطاب القرآني منطقي وقائم على الاستدلال حيث أتاحت دراسات حديثة حول التنسيق الداخلي للسور القرآنية فهمَ السر وراء تجاوز عناصر متنافرة، وأن التنسيق الداخلي يستجيب لقواعد الصور المتركزة المرنة والمندمجة حيث تتراءى العناصر كما لو أنها منعكسة على مرايا متقابلة، ثم إن القرآن يستعمل المناسبات والبنيات المتراكزة من أجل البرهنة والاستدلال[11].

نجد نفس الشيء عند توشيهيكو الذي يدعو إلى ضرورة فهم الكلمة في السياق القرآني المتميز، على حد تعبيره، في ضوء مصطلحاته المترابطة، التي لها معنى أساسيا متأصلا في الكلمة نفسها تحمله معها أنى ذهبت، ومعنى علائقيا إضافيا يتم إلحاقه

---

[1] المرجع السابق، ص 72.

[2] Le coran par lui-même, Anne-Sylvie Boisliveau, Brill, LEIDEN. BOSTON, 2014, page 25.

[3] La référence précédente, page 40.

[4] La référence précédente, page 59.

[5] La référence précédente, page 68.

[6] La référence précédente, page 82.

[7] La référence précédente, page 87.

[8] La référence précédente, page 91.

[9] La référence précédente, page 97.

[10] ترجمة شخصية من كتاب Le coran par lui-même لمؤلفته آن سيلفي بوليفو، ص 40.

[11] من ترجمة لمقال المؤرخة آن سيافي بوليفو، قام بها مصطفى أعسو، تحت عنوان "إعلان سلطة القرآن...في نص القرآن"

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

وإضافته إلى الأول باتخاذ الكلمة موقعا خاصا في حقل خاص، مرتبطة بعلاقات متعددة الأشكال بكل الكلمات المهمة الأخرى في ذلك النظام.

ب – القرآن الكريم ومنهج المماثلة

لقد تحدث الكثير من الباحثين عن معادلة القرآن الكريم للوجود الكوني، وأذكر على سبيل المثال محمد أبو القاسم حاج حمد.

وسم أبو القاسم حاج حمد القرآن بكونه معرفة معادلة للوجود الكوني وحركته منطلقا من الآيات القرآنية التي تتحدث عن نفسها، حيث" ما يرد في سورة الأنعام[1] ، مثلا، هو إشارة إلى الكون الطبيعي الذي تتموضع فيه الكائنات كآيات مقروءة"[2]، ومن خلال السور القرآنية يمكن القول إن القرآن الكريم " يتسع لمطلق الزمان والمكان، جاء حاملا الصيرورة الكونية كلها ومعادلا بالوعي للوجود الكوني وحركته"[3]، فيضاهي ما بين خلقه لهذا الوجود الكوني السباعي[4] ومنهج الحق، فالخلق قد خلق بالحق ، والحق مبثوث في الخلق، وكيفيته والمعاني المتولدة عنه...وحين تتم المقابلة بين الخلق والعلم على المستوى الإلهي في قوله تعالى "الخلاق العليم"[5] تتم المقابلة بين الخلق والعلم على مستوى العطاء الإلهي للإنسان فتكون المنة الإلهية بقرآن عظيم يقابل بالوعي الخلق السباعي العظيم... فالقرآن هو المعادل بالوعي لهذا الخلق الكوني، أي أنه الحق الذي يعادل الخلق[6].

يعتبر منهج المماثلة، الذي يأخذ به القرآن الكريم، منهجا معرفيا حسب حاج حمد وينقسم إلى منهج ابتدائي في المعرفة[7]، ومنهج المماثلة التركيبية[8]، ثم يطور القرآن الكريم هذا المنهج التقابلي التركيبي إلى ما هو أعقد من الناتج المادي، سواء في الإنبات أو في المولود، وذلك بتركيب النفس ذاتها عبر جدلية كونية طبيعية مركبة بفعل قوتين ثنائيتين[9].

---

[1] يقول الله تعالى في سورة الانعام الآيات 36 – 40 ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۝ ﴿حزب﴾﴿الثمن 14/01﴾إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ۝ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ۝ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ ۗ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ﴿حزب﴾﴿الثمن 14/01﴾

[2] محمد أبو القاسم حاج حمد، منهجية القرآن المعرفية، ص 86.

[3] محمد أبو القاسم حاج حمد، ابستمولوجية المعرفة الكونية، ص 210 – 211.

[4] يقول الله تعالى في سورة الطلاق الآية 12 ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

[5] يقول الله تعالى في سورة الحجر الآية 86، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾، ويقول أيضا في سورة يس الآية 80 ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾.

[6] محمد أبو القاسم حاج حمد، منهجية القرآن المعرفية، ص 86 بتصرف.

[7] حيث يقول حاج حمد في هذا الموقف" إن منهج المماثلة الذي يقابل بين مواقيت الصلاة الزمنية وظواهر الحركة الكونية هو أحد الأساليب الإنشائية للمعرفة حين نحاول تطوير العمليات الذهنية لأبنائنا وذلك بدفعهم لتقنين المتقابلات" المرجع السابق، ص 88.

[8] يقول حاج حمد" ومن منهج المعرفة الإنشائية في التماثل المتوافق التركيب(الإبل–الكون) ثم السماء–الأرض–الذكر الانثى) يطور الله منهج المماثلة التركيبية إلى ما هو أكثر تعقيدا، فما بين الإبل والكون تقابل ابتدائي، اما بين السماء والأرض من ناحية وما بين الذكر والأنثى من ناحية أخرى فهو مماثلة تركيبية تؤدي إلى ناتج طبيعي في الحالتين" المرجع السابق، ص 90.

[9] المرجع السابق، ص 90.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

من خلال تتبع مراحل هذه المماثلة من الإنشائية إلى التركيبية وصولا إلى الناتج عبر التركيب المادي استطعنا، حسب تعبير حاج حمد، بيسر أن نضع منهج دراسة العلوم الطبيعية وفلسفتها الإسلامية، ليس بالنسبة للمسلمين فقط ولكن بالنسبة للعالم أجمع وذلك بإعادة تصنيف المعرفة وفق منهج تطبيقي متعدد المراتب طبقا لتعدد مراتب العلوم الطبيعية الكونية نفسها[1].

من خلال هذا المنهج أيضا وضع حاج حمد شرطين لأسلمة المعرفة[2]:

الشرط الأول: أن تضيف إسلامية المعرفة للعلوم التجريبية فرضيات جديدة قابلة لحل إشكاليات البحث العلمي التطبيقي في تعرفه على الظاهرة وتشخيصه لها، وبالتالي الوصول إلى نتائج منهجية متقدمة. لا يعتبر حاج حمد تلك الكتابات التي تقدم مقتطفات علمية معاصرة، فتقوم بتركيبها على النص الديني تقربا وتوددا إلى التقدم العلمي الحاصل في الغرب، أو تبني ذلك التقدم الوافد من الغرب دون الإسهام في التنشئة الداخلية للعلم.

الشرط الثاني: وهو أن تبرهن إسلامية المعرفة لكافة الديانات الأخرى أنها وحدها من دونهم تملك كتاب الوحي المحكم والمطلق والغير قابل للتحريف والتزييف.

وبالتالي الوصول إلى نتيجتين:

الأولى: هي الدفع النوعي، منهجيا، وفلسفيا للعلوم الطبيعية والإنسانية داخل مجالها التطبيقي، وذلك بمنطقين، منطق الاستيعاب ومنطق التجاوز، وذلك يكون بالربط ما بين منهجية القرآن في إطلاقيتها ونسقيتها ومرجعيتها، وبين منهجية التشيؤ[3] الظاهرة بقوانينها التطبيقية ذات المجال الموضوعي.

الثانية: البرهنة على حرمة النص القرآني المطلقة وتوضيح كيفية هيمنته على الكتب السماوية الأخرى.

ج – المصطلح القرآني والتحليل الدلالي

لقد تصدى علماء الإسلام منذ الإمام محمد بن ادريس الشافعي (ت 204 ه) للبحث في دلالة الألفاظ على المعاني فوضعوا القواعد لفهم النصوص القرآنية، وتحديد الدلالة حسب منهج مستمد من استقراء تركيبات المقاطع اللغوية[4]، فكانت الدلالة إما لفظية أو غير لفظية واللفظية إما أن تعتبر بالنسبة إلى كمال المعنى الموضوع له اللفظ أو إلى بعضه، فالأول دلالة المطابقة[5]، والثاني دلالة التضمن[6]، والثالث دلالة الالتزام أو اللزوم[7].

---

[1] المرجع السابق، ص 92.

[2] محمد أبو القاسم حاج حمد، ابستمولوجية المعرفة الكونية، دار الهادي، الطبعة الأولى، 2004م، ص 47 ومابعدها.

[3] **التشيؤ:** يطلق عليه أكسل هونيت "التسليع" يعني جعل كل شيء سلعة حتى القيم الأخلاقية في زمن التقدم الاقتصادي أصبحت سلعة وقابلة للتشيؤ، ولذلك يقول أكسل هونيت " التشيؤ والتسليع، أي تحويل كل شيء إلى سلع تجارية"، أنظر كتاب أكسل هونيت دراسة في نظرية الاعتراف ترجمة وتقديم الدكتور كمال بومنير، ص 26.

[4] علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، دار الصميعي، الطبعة الأولى، 2003م، ج 1، ص 13 وما بعدها.

[5] كدلالة لفظ الإنسان على معناه.

[6] كدلالة لفظ الإنسان على فيما معناه من الحيوان أو الناطق.

[7] اعتبر الآمدي دلالة الالتزام دلالة غير لفظية حيث قال في إحكامه" ولما غير اللفظية، فهي دلالة الالتزام، وهي أن يكون اللفظ له معنى، وذلك المعنى له لازم من خارج، فعند فهم مدلول اللفظ من اللفظ، ينتقل الذهن من مدلول اللفظ إلى لازمه" الإحكام، ص 15.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

في مقابل بحوث علماء الأصول في الدلالات، هناك من تصدى للدرس الدلالي من مفكرين مسلمين ومستشرقين وغيرهم، فكان الدرس اللساني[1]، والتأويلي[2] والعقلاني[3]، والتداولي[4] وكان أيضا منهج التحليل الدلالي الذي دعا إليه توشيهيكو إيزوتسو المستشرق الياباني، الذي وضع العنوان التالي" **علم دلالة القرآن**" من بين اختياراته لعنونة كتابه" **الله والإنسان في القرآن**" لولا أن الجزء الرئيسي من دراسته معني على وجه الحصر تقريبا، حسب تعبيره، بمسألة العلاقة الشخصية بين الله والإنسان في الرؤية القرآنية للعالم[5].

وبذلك يكون إيزوتسو قد صرح في بداية دراسته باعتماده الدرس الدلالي في دراسة القرآن الكريم مبررا ذلك" بقابلية القرآن للدرس من جهات نظر مختلفة في مجالات كثيرة كعلم الكلام والفلسفة وعلم الاجتماع والنحو والتفسير"[6]، فعمد" إلى دراسة القرآن الكريم بتطبيق منهج التحليل الدلالي على المعجم اللغوي القرآني، عبر رصد دلالات الألفاظ وتطورها"[7].

بخلاف ما درج عليه المسلمون من اهتمام كبير بالمفاهيم القرآنية في غياب شبه تام للتناول المنهجي، حاول إيزوتسو الاقتراب من هذا المنهج الذي وسمه ب " المنهج الدلالي للدراسات القرآنية"، فقال في هذا الموقف" فإن من الجوهري تماما أن نحاول منذ البداية امتلاك الفكرة الأكثر وضوحا ما أمكن، حول ملائمة المنهج الدلالي للدراسات القرآنية، ونرى إن كان ثمة فائدة حقيقة من مقاربة القرآن الكريم من هذه الزاوية الخاصة"[8].

فالمنهج الذي اعتمده إيزوتسو قام على الأسس التالية:

الأساس الأول: التعريف بعلم الدلالة الذي ارتضاه، حيث اعتبره علم يُعنى بظاهرة المعنى بأوسع معاني الكلمة، هذا التوسع في المعنى سيجعل الكثير من المتخصصين الذين يعملون في علوم أخرى يقدمون إفاداتهم لحل مشكلات مهمة، مثل علم اللغة بالمعنى الضيق للكلمة، وعلم الاجتماع والإناسة، وعلم النفس، وعلم الأعصاب، وعلم التشريح، وعلم الأحياء، والفلسفة التحليلية، والمنطق الرمزي، والرياضيات، وأحدثها الهندسة الإلكترونية[9]، فهو منهج يقوم على تصور جديد كليةً للكينونة والوجود، واستعمل مصطلح تصور نظرا لافتقار علم الدلالة إلى التناغم والاتساق، وكل ما لدينا، بتعبير إيزوتسو، هو عدد من نظريات المعنى المختلفة، ولما كان الأمر كذلك فإن مهمة إيزوتسو هي صياغة بأدق ما يمكن ما يعتقده أنه ينبغي أن يكون موضع الاهتمام الرئيسي للمختص بعلم الدلالة وهدفه الجوهري، وعلى وجه الخصوص، موقفه الأساس المتوازي مع توضيح المبادئ المنهجية التي تُشتق من كل ذلك[10].

---

[1] محمد أركون.

[2] نصر حامد أبو زيد.

[3] محمد عابد الجابري.

[4] طه عبد الرحمان.

[5] توشيهيكو إيزوتسو، الله والإنسان في القرآن: علم دلالة الرؤية القرآنية، ص 29.

[6] فريدة زمرد، القراءة النسقية للقرآن الكريم عند المستشرق الياباني: إيزوتسو توشيهيكو، سلسلة الإسلام والسياق المعاصر، العدد 78 الصادرة عن الرابطة المحمدية للعلماء، ص 4.

[7] المرجع السابق، ص 2.

[8] توشيهيكو إيزوتسو، الله والإنسان في القرآن: علم دلالة الرؤية القرآنية، ص 30.

[9] توشيهيكو إيزوتسو، الله والإنسان في القرآن: علم دلالة الرؤية القرآنية، ص 31.

[10] المرجع السابق، ص 32 بتصرف.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

الأساس الثاني: يقوم منهج إيزوتسو، أيضا، على فهم عبارة "علم دلالة القرآن" بمعنى الرؤية القرآنية للعالم، أي النظرة القرآنية للكون، فمجال بحث علم دلالة القرآن هو:

- بشكل رئيسي هو بيان كيفية تَبَنِّين عالم الوجود في منظور القرآن الكريم،
- البحث في مكونات هذا العالم،
- وكيف تتعالق فيما بينها.[1]

الأساس الثالث: دعا إيزوتسو إلى توحيد المفاهيم المستقلة في فهم الدارس، الذي يعتبرها موجودة هكذا ببساطة في القرآن بحيث كل منها معزولة عن الأخرى، بل يجب أن يتفهم أن هذه المفاهيم أو الكلمات القرآنية لها نظام علائقي فيما بينها حيث يتوقف فهمها على تركيبها مع السابق واللاحق، إلى أن قال" إنها تشكل بين أنفسها مجموعات متنوعة كبيرة أو صغيرة، ثم تترابط هذه المجموعات بدورها بأشكال متنوعة، وبذلك فإنها تؤلف في النهاية مجموعا كليا منظما، وشبكة غاية في التعقيد والتركيب من التداعيات المفهومية...فذلك أكثر أهمية من المفاهيم المستقلة التي تؤخذ هكذا منعزلة، وتعد في أنفسها جزءا من البنية العامة أو الكل الموحد **gestalt**.[2]

ولقد ضرب إيزوتسو أمثلة من القرآن الكريم، كاسم "الله" و"الإسلام" والنبي" و"الإيمان و... هذه الكلمات يجب البحث فيما تعنيه في السياق القرآني، وداخل الشبكة المفهومية التي تشكل الكل الموحد الشامل الذي تنطوي عليه رؤية القرآن للعالم، بخلاف الاستعمال في العصر(الجاهلي) ، فعندما تحدد الاستعمال بمجيء الوحي لهذه المصطلحات، "فإن النظام ككل، والسياق العام الذي استعملت فيه هو ما صدم المكيين...لكونه شيئا غاية في الغرابة وغير مألوف"[3] لديهم.

ومن المسائل المتعلقة بالبناء المفهومي القرآني فإن المصطلحات إذا نُزعت من تراكيبها التقليدية الثابتة، وأدخلت في سياق جديد مختلف كليا فإنها تميل إلى التأثر جوهريا بهذا الانتقال بالذات، والذي يُعرف بتأثير السياق على المعاني[4].

الأساس الرابع: اعتمد إيزوتسو على مفهومين منهجيين وهما **المعنى الأساسي والمعنى العلائقي**، خاصة فيما يتعلق ب **"المصطلحات المفتاحية"**، فلاحظ إيزوتسو أمرين اثنين:

1- إن لكل كلمة، تؤخذ بشكل منفصل، معناها الأساسي الخاص بها، أو محتواها المفهومي الذي تظل محتفظة به حتى لو اقتطعناها من سياقها القرآني، فهي تستبقي معناها الأساسي، حيثما وُجدت، سواء أحدث أن استعملت كمصطلح مفتاحي في نظام مفاهيمي محدد أم خارج هذا النظام بصورة أعم، مع بقاء المعنى غير مكتمل. من هنا يبدأ الامر الثاني، أو الوجه الثاني للمعنى.

---

[1] المرجع السابق.

[2] Gestalt : Fait, pour une entité perceptive, d'être traitée par le sujet comme un tout plutôt que comme une juxtaposition de parties. LAROUSSE
La gestalt-thérapie propose une approche globale de la personne dans ses dimensions affectives, corporelles, spirituelles, intellectuelles et sociales. Robert

[3] توشيهيكو إيزوتسو، الله والإنسان في القرآن: علم دلالة الرؤية القرآنية، ص 34.

[4] المرجع السابق، ص 37.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

2- حيث تكتسب الكلمة القرآنية أهمية غير عادية في السياق القرآني، كعلامة على مفهوم ديني خاص جدا، تحيط به هالة من القدسية، مثل كلمة "كتاب" البسيطة، بمعناها البسيط، حالما نقوم بإدخالها في نظام خاص، ومنحها موقعا معينا فيه، اكتسبت العديد من العناصر الدلالية الجديدة الناشئة عن هذا الوضع الخاص، وعن العلاقات المتنوعة التي شكلتها لتحملها إلى المفاهيم الرئيسية لذلك النظام. ف" الكلمة في الساق القرآني المتميز يجب أن تُفهم في ضوء المصطلحات المترابطة، وأن هذا الترابط وحده يعطي كلمة كتاب طابعا دلاليا مميزا جدا"[1].

هكذا خلص إيزوتسو إلى اعتبار المعنى الأساسي شيئا متأصلا في الكلمة لا ينفك عنها حيث تحمله معها أنى وُضعت، بينما المعنى العلائقي، هو شيء إضافي يتم إلحاقه وإضافته إلى الأول عندما تأخذ الكلمة موقعا خاصا في حقل خاص[2]. هذا الجانب العلاقي أو العلائقي للكلمة يتطلب **أولا**: تقصيا دقيقا من حيث التحليل الدلالي، **وثانيا:** يحتاج مزيدا من المعرفة اللغوية المتخصصة بالكلمة، لأن المعنى العلاقي هو تجلٍّ عياني وبلورة لروح الثقافة، وانعكاس أصيل للتنوع العام من جهة ومن جهة أخرى للناس الذين يستخدمون الكلمة كجزء من معجمهم[3].

الأساس الخامس: التصور اللغوي للعالم من خلال تناول إيزوتسو لبعض المفاهيم القرآنية للتدليل على منهج التحليل الدلالي الذي اعتمده، يمكن القول إن مرجعيته تؤول في الأخير إلى فلسفة الوجود، وبتعبيره " إن علم الدلالة بوصفه دراسة للمعنى لا يمكن أن يكون إلا فلسفة من نوع جديد تقوم على تصور جديد كلية للكينونة والوجود[4]"[5].

فالدراسة التحليلية لمصطلحات كل لغة، كفيلة لجعل الناس يستخدمونها كأداة لفهم العالم الذي يحيط بهم وتفسيره فضلا عن استخدامها كأداة للكلام والتفكير. " إن علم الدلالة بهذا الفهم نوع من **علم الرؤية للعالم** أو دراسة لطبيعة رؤية العالم وبنيتها لأمة ما، في هذه المرحلة المهمة أو تلك من تاريخنا"[6]. هذا الاستخدام الآلي الأداتي للغة من لغات العالم يختلف من أمة إلى أخرى وبالتالي اختلاف التصورات التي أقيمت من خلال التركيب الكلامي أو المصطلحي، عبر تاريخ البشرية، بل إن هذا الاختلاف قد يحصل في تاريخ لأمة الواحدة ولذلك قدم إيزوتسو مقارنة بين تصور العرب (الجاهليين) أي عرب ما قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، وعرب ما بعد البعثة، وحضور المفهوم القرآني، فعرب قبل نزول القرآن كانت لديهم" فكرة غامضة...عن **البعث ويوم القيامة**...فإن هذا المفهوم لم يحتل موقعا بعينه في نظام محدد للمفاهيم، أي أن هذا المفهوم وغيره مما يماثله من المفاهيم كانت موجودة، فقط مبعثرة هنا وهناك من دون رابطة داخلية متماسكة تجمع بينها. وهذا يعني أنه على الرغم من وجود مفاهيم أخروية في(الجاهلية)، لم يكن ثمة حقل دلالي للأخرويات راسخ وذو ملامح واضحة بوصفه حقلا وسطيا بين الدنيا والعالم الآخر...وهذا هو الاختلاف الأكثر جوهرية بين المفاهيم الجاهلية والمفاهيم القرآنية الخاصة بالأخرويات"[7].

---

[1] توشيهيكو إيزوتسو، الله والإنسان في القرآن: علم دلالة الرؤية القرآنية، ص 43 وما بعدها.

[2] المرجع السابق، ص 48 وما بعدها.

[3] المرجع السابق، ص 50 بتصرف.

[4] يقول إيزوتسو في هذا الموقف" سيكون من السهل الآن أن ندرك أن كلمة **القرآن** في عبارتنا (علم دلالة القرآن) ينبغي أن تفهم فحسب بمعنى الرؤية القرآنية للعالم، أي النظرة القرآنية للكون، ولابد لعلم دلالة القرآن أن يبحث بشكل رئيسي في مسألة كيفية تَبَنِّين عالم الوجود في منظور هذا الكتاب الكريم، وما هي مكونات هذا العالم وكيف تتعالق فيما بينها. وبهذا الفهم فإن علم دلالة القرآن سيكون نوعا من الأنطولوجيا، أي مبحث الوجود" المرجع السابق، ص32. وللتفصيل في مسألة الكونية والوجودية انظر ص 121 ومابعدها.

[5] المرجع اسابق، ص 31.

[6] توشيهيكو إيزوتسو، الله والإنسان في القرآن: علم دلالة الرؤية القرآنية، ص 32.

[7] المرجع السابق، ص 155 - 156 بتصرف.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

يظهر ذلك بينا عندما تحدث عن العلاقة الوجودية والتواصلية بين الله تعالى والإنسان، فالله من وجهة دلالية هي الكلمة – المركز العليا في معجم القرآن، والتي تهيمن على الحقول الدلالية كلها وعلى النظام كله تبعا لذلك، أما الإنسان بطبيعته وسلوكه ونفسيته وواجباته ومصيره، ينال اهتماما مركزيا في الفكر القرآني بالقدر الذي، يجعله معنيا بمشكلة خلاص البشر، ولولاها لما أنزل القرآن[1]. وبالتالي قدم القرآن الكريم تصورا منظما منضبطا لكيفية رؤية العالم أو الوجود، و" أحدث تغييرا جوهريا بالغا في رؤية العرب للعالم تحديدا عن طريق تغيير الاستعمال السياقي لمصطلح الله، بتحميله معنى جديدا، وذلك باستبعاد كل الآلهة وجلب مفهوم الله إلى مركز الوجود...فعلى المرء أن يعلم قبل كل شيء البنية الأساسية لعالم الأفكار القرآنية كلها"[2].

هناك علاقة خاصة بين القطبين المفهومين الأكبرين، بتعبير إيزوتسو، الله والإنسان يمكن أن تحلل مفهوميا إلى أربعة أنواع رئيسية من العلاقة بين الله والإنسان:

1- **العلاقة الأنطولوجية(الوجودية)** بين الله بوصفه المصدر الجوهري للوجود الإنساني، والإنسان بوصفه ممثِّلا للعالم المخلوق، وبالتالي فهي علاقة بين خالق ومخلوق، " من شأنها أن تجيب على العديد من التساؤلات الفلسفية والوجودية الكبرى من مثل: من خلق الإنسان ومنحه الوجود؟ وما صفات الخالق؟ ولِم خُلِق الإنسان؟ وما مصيره؟ وما واجباته تجاه خالقه؟ كل ذلك يشكل أُسَّ العلاقة التي تربط الإنسان بالله عز وجل"[3]،

2- **العلاقة التواصلية:** حيث يدخل الله والإنسان في علاقة تبادلية حميمة، حسب تعبير إيزوتسو، كل منهما مع الآخر- يأخذ الله، طبعا، زمام المبادرة فيها – من خلال تواصل لفظي يتم من الأعلى إلى أدنى، وذلك هو الوحي أو على شكل دعاء من الأدنى إلى الأعلى. وآخر غير لفظي ويتمثل بالفعل الإلهي يعني تنزيل الآيات، أو يتخذ شكل صلاة أو شعائر دينية،

3- **علاقة الرب –العبد**، التي تستلزم كل المفاهيم المتعلقة بجلال الله تعالى وعظمته وقدرته المطلقة، وتستلزم كل المفاهيم المتعلقة بعبودية الإنسان التي تتضمن الخضوع والتواضع والطاعة المطلقة وكل ما ينبغي أن تتوفر عادة في العبد،

4- **علاقة أخلاقية** تقوم على التمييز بين رحمة الله تعالى ومغفرته وكرمه اللامحدود وبين عقابه وعدله. فمقابل ذلك يجب التمييز بين شكر الإنسان وبين تقواه[4].

المطلب الثاني: وظيفة المصطلح القرآني واستيعاب الواقع

ما بين النص القرآني والواقع علاقات متعددة يمكن إجمالها في علاقتين، العلاقة الأولى تتخذ مسارها من الأعلى إلى الأدنى، من عند الله تعالى إلى الواقع الإنساني، وعلاقة ثانية تنطلق من الأسفل إلى الأعلى، وجعلهما إيزوتسو في شكل متقابلات مفهومية " تدخل في صميم موضوع العلاقة بين الله والإنسان"[5]، فقدمها على الشكل التالي:

أ- العلاقة الوجودية بين الله والإنسان

خلال هذه العلاقة التي يكون فيها الله تعالى " هو الموجود الوحيد الذي يستحق أن يسمى **موجودا** بكل ما في الكلمة من معنى، والذي لا يمكن لأي شيء في العالم كله أن يضاده...وأن **الله** من وجهة دلالية هي الكلمة – المركز العليا في معجم القرآن،

---

[1] المرجع السابق، ص 128 بتصرف.

[2] من مراجعة فضل الرحمان لكتاب إيزوتسو، ص 20 بتصرف. ولد فضل الرحمان عام 1919 ميلادية في الهند، لأب وأم متدينين، توفي سنة 1988 ميلادية، من كتاب فضل الرحمان "**الإسلام**"، ص 20 – 21.

[3] فريدة زمرد، القراءة النسقية للقرآن الكريم عند المستشرق الياباني: إيزوتسو توشيهيكو، ص 13.

[4] توشيهيكو إيزوتسو، الله والإنسان في القرآن: علم دلالة الرؤية القرآنية، ص 130 ومابعدها.

[5] فريدة زمرد، القراءة النسقية للقرآن الكريم عند المستشرق الياباني: إيزوتسو توشيهيكو للدكتورة، ص 14.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

والتي تهيمن على الحقول الدلالية كلها وعلى النظام كله تبعا لذلك "[1] ويكون فيه **الإنسان** " هو الوحيد من بين كل المخلوقات من عُلِّقت عليه أهمية عظيمة في القرآن، وهي تلفت انتباهنا إليها بالقدر نفسه الذي يلفت مفهوم **الله** انتباهنا إليه"[2]، " وبهذا المعنى الخصوصي، فإن مفهوم الإنسان من الأهمية بحيث يشكل القطب الرئيسي الثاني الذي يقف وجها لوجه بإزاء القطب الأساسي...من هنا، فإن عالم القرآن يمكن أن يتمرأى كدائرة ذات نقطتين أساسيتين تقابل إحداهما الأخرى واحدة في الأعلى والأخرى في الأسفل"[3]

داخل هذه العلاقة هناك بناء مفاهيمي يحكمها، انطلاقا من **الجعل** الأول للإنسان والاستخلاف والتمكين، ومفهوم القدر والمصير، فهي **علاقة وجودية** ابتداء تقوم على **الكلمة الصميمية**، بتعبير إيزوتسو، الأعلى قيمة في **النسق المفهومي القرآني**، حيث يقول إيزوتسو في هذا الموقف " **الله** هي الكلمة – المركز العليا في النظام القرآني التي لا تفوقها كلمة أخرى في المكانة والأهمية"[4]، من ثم تعتبر الرؤية القرآنية للعالم ذات مركزية إلهية، تنبني على هيمنة مفهوم **الله**، وممارسته لتأثير عميق في البنية الدلالية لكل الكلمات المفتاحية.

من حيث الوجود لم يناقش إيزوتسو وجود الله ويطرح أسئلة حول ذلك، وإنما لاحظ أن اسم **الله** بالذات كان معروفا في الجاهلية، حتى قال بأن الوحي القرآني عندما بدأ باستعمال هذه الكلمة لم يأت باسم جديد للإله[5]، لكن هناك اختلاف بين المفهوم الإسلامي لله، إذا ما قارناه بمفهوم الله في الزمن السابق للإسلام.

من المفاهيم المحورية في هذه العلاقة الوجودية التي اعتمدها إيزوتسو، **مفهوم الخلق ومفهوم المصير الإنساني**.

- **مفهوم الخلق**

كثيرا ما يطرح السؤال التالي: من أين جاء الإنسان؟ وما يُلحق به مثل ما هو مصدر وجود الإنسان بالذات هنا في هذا العالم؟

حسب التصور القرآني فالله تعالى هو مصدر الوجود، وهو المؤثر في وجود الإنسان وبتعبير إيزوتسو، "فقد منح – الله – الوجود للإنسان هبة من غير مقابل"[6]، وإذا ما اقتصر الإنسان على الفهم الصحيح لمفهوم الخلق، سيكتفي بهذه الحقيقة لأن يكون مسلما، ومن ثم يكون وعي الإنسان بالماهية الخَلقية رهين بمسألة علاقة الله بالإنسان، وهذا لم يتحقق إلا بعد نزول القرآن، حيث كان يسود خلال العصر ما قبل الإسلام تصور غير قادر على أن يؤدي دورا مؤثرا في الرؤية (الجاهلية) للعالم، وهكذا تألف حقل دلالي غامض الملامح رغم وجود بعض المصطلحات التي كانت متداولة قبل الإسلام مثل **خلْق وخالق**.

- **المصير الإنساني**

[1] توشيهيكو إيزوتسو، الله والإنسان في القرآن: علم دلالة الرؤية القرآنية، ص 127 بتصرف.
[2] المرجع السابق، ص 128.
[3] المرجع السابق
[4] توشيهيكو إيزوتسو، الله والإنسان في القرآن: علم دلالة الرؤية القرآنية، ص 157.
[5] المرجع السابق، ص 158.
[6] المرجع السابق، ص 193.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

كانت بداية استخلاف الإنسان وتمكينه في الأرض من خلال خلقه، وإعلامه ا لملائكة بهذا الجعل، لكن عن مصيره وقدره قال تعالى ﴿**إِنِّيَ أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[1] موجها الخطاب إلى الملائكة ابتداء، وإلى التصور ما قبل إسلامي بأن علاقة الإنسان لا تتوقف عند الخلق فقط وإنما هي مستمرة بالاطلاع والتقدير ولذلك قال إيزوتسو" إن الإنسان حالما يخلقه الله يقطع روابطه مع خالقه، ومنذ تلك اللحظة فصاعدا يصبح وجوده على الأرض في قبضة سيد آخر أكثر قوة إلى حد بعيد"[2]،"من هنا كانت الرؤية الجاهلية لحياة الإنسان تحمل في مركزها العميق شيئا مظلما وغامضا، يفرض سطوته الغاشمة على سيرورة الحياة لكل إنسان فرد من المهد إلى القبر[3]، فلا وجود لقانون يحكم حياة الإنسان.

لكن القرآن قدم صورة مختلفة تماما لهذا الوضع المصيري للإنسان بعد الخلق مباشرة، وأصبحت دلالات مفهوم الخلق في النسق القرآني تؤشر للهيمنة الإلهية على المخلوقات والإشراف الدقيق من الله العادل الذي لا يظلم، فكانت "حتمية الموت في صيغة الأجل لا تؤدي في التصور الإسلامي إلى نظرة تشاؤمية كئيبة للوجود الإنساني، كما هو معتاد في الجاهلية، ذلك لأن **الأجل** بهذا الفهم ليس النقطة النهائية الحقيقية للوجود في الرؤية الجديدة للعالم"[4]."فالمراحل الوجودية للإنسان إذن موت ثم حياة ثم موت[5] (ثم يميتكم) فالمرحلة الثالثة هي الموتة الثانية، وهذه الحالة التي ينتقل إليها الإنسان هي وجود برزخي حيث لا يكون الإنسان في الدنيا كما لا يكون في الآخرة وهي بلا شك حالة وجودية وليست عدما وقد أسماها الله موتا مما يدل على أن الموت الأول الذي خلق الله عليه الإنسان هو وجود وليس عدما"[6]، ولذلك كان لعقيدة الإيمان باليوم الآخر أثر كبير في حياة المسلمين بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن الكريم.

ب– العلاقة التواصلية بين الله والإنسان

تحدث إيزوتسو عن هذه العلاقة واعتبرها تفاعلا وتبادلا بين طرفيها تبدأ ب "إرادة الله بفتح تواصل مباشر بينه وبين البشر"[7] على مستويين: لفظي وغير لفظي.

أولا: المستوى اللفظي

هناك عدة ألفاظ ومفاهيم تحكم هذا المستوى، أهمها **الوحي** " بوصفه الشكل النموذجي للتواصل من الله إلى الإنسان"[8]، و" هو نوع خصوصي من التواصل اللغوي الذي يحدث بين الله والإنسان في الاتجاه النازل"[9] لكن من المستهدف من الوحي حسب تعبير إيزوتسو؟ "إن هدف الوحي الإلهي ليس هو محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يهدف إلى الخلاص الشخصي لمحمد صلى الله عليه وسلم، وإن الله لا يتكلم إلى محمد صلى الله عليه وسلم من أجل الكلام إليه ببساطة، إن الكلمات الإلهية يجب أن تتجاوز

---

[1] سورة البقرة، الآية 29.

[2] توشيهيكو إيزوتسو، الله والإنسان في القرآن: علم دلالة الرؤية القرآنية، ص 199.

[3] المرجع السابق، ص 202.

[4] المرجع الأسبق، ص 208.

[5] يقول الله تعالى ﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ سورة البقرة، الآية 27.

[6] فاروق الدسوقي، مفاهيم قرآنية حول حقيقة الإنسان، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1986م، ص 7.

[7] توشيهيكو إيزوتسو، الله والإنسان في القرآن: علم دلالة الرؤية القرآنية، ص 213.

[8] المرجع السابق.

[9] المرجع السابق، ص 301.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

محمدا وتُبلغ إلى الآخرين"[1]. فوظيفة النبي محمد صلى الله عليه وسلم هي أن يحفظ النص الموحى إليه في ذاكرته حرفيا، كي يتمكن من توصيله إلى قومه من دون إضافة ولو بكلمة، فإن النبي عندها يمكن أن يُتهم بارتكاب خطيئة **التحريف** المهلكة[2]. فترتيب القرآن وتركيبه وقفا من عند الله وعلى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، و لم يتبق لمن أتى بعد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وخاتم النبيئين سوى الاستنساخ وربط الصحائف[3].

إن البناء المفاهيمي القرآني المنظم يخاطب الإنسان ويشعره بوجوده في الحياة الدنيا ويصف الحياة بعد الموت ل " يدغدغ غفلة الإنسان، ويشعره أنه ليس منكرا له جل شأنه"[4] فاختلاف القدرات العقلية للإنسان في إدراك البناء المفهومي أو النسق المفاهيمي القرآني هي المحددة لمستوى التواصل بين الله تعالى والإنسان، وبتعبير إيزوتسو ف" إن الله – تعالى – يبين الآيات كل لحظة، **آية** بعد **آية** لأولئك الذين لديهم قدرة عقلية كافية لإدراكها ك "**آيات**". ومعنى هذا، وفقا للفهم الذي يتيحه القرآن، أن كل ما نسميه ظواهر طبيعية، مثل المطر والريح وبناء السماء والأرض، وتعاقب الليل والنهار وتحولات الريح، إلى آخره، كل ذلك لا ينبغي أن يفهم كظواهر طبيعية مجردة، بل بوصفه علامات أو رموزا كثيرة تدل على التدخل الإلهي في شؤون البشر، وأدلة على العناية الإلهية، والرعاية والحكمة الممنوحة من الله لصالح البشر على الأرض[5].

ويتحدث إيزوتسو أيضا عن مفهوم **الآية** في الفكر القرآني، حسب تعبيره، الذي ابتكر استعماله كإضافة نوعية على الاستعمال الذي كان سائدا في العصر الذي سبق الإسلام، "فقد كانت تستعمل دائما بالمعنى الطبيعي البحت...إن القضية ليست على أية حال ذات أهمية مركزية بالنسبة إلى هدفنا هنا، لكن ما هو أكثر أهمية هي البنية الدلالية لمفهوم **الآية** في النظام القرآني نفسه"[6]، كل ذلك "يجسد الإرادة الإلهية بصيغة ملفوظة"[7].

من خلال الوحي والآية/الآيات، يمكن القول بأن العلاقة التواصلية بين الله تعالى والإنسان تنبني أساسا وابتداء على أن الله تعالى هو المتكلم والإنسان هو الذي يسمع، وهكذا ميز إيزوتسو في هذا المستوى اللفظي بين مستويين، الأول هو مستوى كلامي، حيث يتكلم الله تعالى، والإنسان يسمع، ومستوى لغوي يتعلق بكينونة القرآن اللغوية التي يجب على النبي صلى الله عليه وسلم أن يحفظ في الذاكرة نص الوحي حرفيا على نحو يستطيع فيه أن ينقله إلى قومه من دون تبديل حتى كلمة واحدة.

هنا تظهر ضرورة وجود وسيط بين الطرفين، وهو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والأنبياء والرسل من قبله.

لما قابل الله تعالى بين الدنيا والآخرة وصف الدنيا ب "**الحياة الدنيا**" ووصف الآخرة بالدار، وهذا الوصف لم" يوضع عبثا لمجرد الكشف عن الفارق التكويني، فهناك آيات أخرى أشارت لهذا الفارق، وليس من طبيعة القرآن التكرار، وإنما وضعت

---

[1] المرجع السابق، ص 280 بتصرف.

[2] المرجع السابق، ص 282.

[3] انظر منهجية القرآن المعرفية، ص 94.

[4] يحيى آل دوخي، المنهج القرآني في تأصيل العقيدة، دراسة تحليلية تطبيقية، مجلة للدليل، العدد الأول، السنة الأولى، 2017م ص 73.

توشيهيكو إيزوتسو، الله والإنسان في القرآن: علم دلالة الرؤية القرآنية، ص 214.

[6] المرجع السابق، ص 216.

[7] المرجع السابق، ص 217.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المفارقة على هذا النحو لتركب عليها لازمة كل منهما، فلازمة الحياة الدنيا **اللعب واللهو** ولازمة الآخرة **هي الوعي** الكامل بقوة الإحساس(الحيوان) وهو إحساس كياني شامل للحياة لا يقبل أيا من صفات الضعف والموت"[1].

فيما يخص الاتصال اللفظي بين الإنسان والله تعالى، ركز إيزوتسو على مصطلح **الدعاء**، كاستجابة إيجابية من طرف الانسان اتجاه الله تعالى، ف" بدلا من أن يظل الإنسان سلبيا، قد يأخذ أحيانا من جانبه المبادرة في إقامة علاقة لفظية مع الله، ويحاول أن يتصل به بواسطة علامات لغوية" هذا الاتصال لا يمكن أن يكون مباشرا، "لأن ذلك سينتهك المبدأ الأكثر جوهرية للغة، وهو ضرورة أن يكون ثمة تساو أنطولوجي بين الاثنين، من أجل أن يكون بالإمكان حدوث تبادل عادي للكلمات"[2]، لكن من أجل أن تقام هذه العلاقة اللفظية مع الله لابد لقلب الإنسان " أن يكون نقيا من الأفكار الدنيوية، وبناء عليه تصبح اللغة التي يتكلمها ذات طابع روحي إلى أقصى حد"[3].

ثم تكون استجابة الله تعالى لهذا الدعاء، حيث " يعلق القرآن أهمية قصوى على **مفهوم الاستجابة** بوصفها دليلا على أن عدم القدرة عليها واحدة من العلامات البارزة للآلهة المزيفة. فالآلهة التي يعبدها الكفار من دون الله لا تسمع دعاؤهم، وحتى لو سمعت فإنها ستكون عاجزة عن الإجابة بأي شيء: إن دعاء الكفار يذهب في الطريق الخطأ فقط – قال تعالى﴿**إِن تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ**﴾[4]، ويقول أيضا ﴿**لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَالذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلاَّ فِى ضَلَـٰلٍ**﴾[5]"[6].

ثانيا: المستوى غير اللفظي

يرى إيزوتسو أن الله تعالى قد فتح آفاق التواصل بينه وبين البشر في شكل آيات يترلها سواء كانت لغوية أو غير لغوية فكلاهما يسميان آيات، لكنه ميز بينهما وأطلق على اللغوية اسم **الوحي**، وعلى غير اللغوية **آيات، فالآيات** تنماز عن **الوحي** بالكثير من الخصائص، فمن المقبول، بتعبير إيزوتسو، "أن نعده وحدة مستقلة، ونخصه بمعالجة منفصلة"[7]، وهكذا يمكن الحديث عن هذه العلاقة باعتبار الله مرسلا للآيات، والإنسان مستقبلا لها، ومن ثم تحدث إيزوتسو عن بعض المفهومات الأساسية في هذه العلاقة هي: مفهوم الآيات، ومفهوم الهداية أو الهدى، وداخل كل مفهوم هناك الكثير من التعابير.

تبدأ هذه العلاقة التواصلية بين الله تعالى والإنسان، حسب إيزوتسو توشيهيكو ب" رموز وعلامات تدل على التدخل الإلهي في شؤون البشر، وأدلة على العناية الإلهية والرعاية والحكمة الممنوحة من الله لصالح البشر على الأرض"[8] هذه الطريقة التواصلية ليست متاحة للجميع وإنما هي للذين لديهم **عقل** ويستطيعون **التفكر**، بالمعنى الحقيقي للكلمة، إنها آيات ذات حسنة واحدة

---

[1] محمد أبو القاسم حاج حمد، جدلية الغيب والإنسان والطبيعة، العالمية الإسلامية الثانية، ص 586.

[2] توشيهيكو إيزوتسو، الله والإنسان في القرآن: علم دلالة الرؤية القرآنية، ص 302.

[3] المرجع السابق، ص 303.

[4] سورة فاطر، الآية 14.

[5] سورة الرعد، الآية 15.

[6] توشيهيكو إيزوتسو، الله والإنسان في القرآن: علم دلالة الرؤية القرآنية، ص 304 – 305.

[7] المرجع السابق، ص 214.

[8] المرجع السابق، ص 214 – 215.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

جلية، بإمكانها أن تكون موجهة إلى البشر عامة، من دون أي تقييد، بخلاف التواصل اللفظي الذي يُعطى لشخص بعينه هو الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا يعطى للبشر إلا على نحو غير مباشر أي من خلال وسيط، ثم يقرر إيزوتسو أن " الناس جميعا يحيون في غمرة عالم من الرموز الإلهية، وكلها في متناول أي شخص إذا كان يمتلك فقط القدرة العقلية والروحية لتفسيرها كرموز"[1]

يبقى الإنسان مخيرا بين **قبول** هذه الآيات أو **رفضها**، مستعملا وسائل الفهم الأساسية كالقلب، واللب، والعقل، والتفهم، والتفكر، والتذكر، والفقه، ولا يمكن الخروج عن هذه **الممكنات**، فيصدقها أو يكذبها فيقبلها **كحق** أو يرفضها **كباطل** " ليس لها واقع وراءها أو مجرد نتاج للوهم والخيال الذي لا أساس له، ومن ثم، فالتصديق هو الخطوة إلى الإيمان، وأن التكذيب هو الأساس الحقيقي **للكفر**"[2].

وهكذا يتحدث إيزوتسو عن مفهوم **الهداية** التي تقتضي من الإنسان استجابة ما، إما الضلال بعد التكذيب أو الهداية بعد التصديق[3]، هنا يُقحم إيزوتسو مفهوم دلالي آخر يرتبط ارتباطا شديدا بالهداية وهو مفهوم **الطريق المستقيم** الذي يكتسي أهمية كبيرة في البنية الدلالية الداخلية لمفهوم الهداية، وبتعبير إيزوتسو" هذا المفهوم هو الكلمة – المركز للحقل كله...ويشار إليه في القرآن بعدة كلمات، أهمها: **سبيل، صراط، طريق**"[4].

فيما يخص الجانب الدلالي يميز إيزوتسو بين مضامين المصطلحات التي كانت سائدة قبل نزول القرآن الكريم وبعد نزوله، فأبقى عليها لكن بإضفاء المضامين الدينية" خذ على سبيل المثال كلمة **هدى** بالذات، إنها لا تعني **الاهتداء** بالمعنى المجرد، بل تعني **معرفة الطريق** بمعناه العياني، ولا سيما الصحراء. وكان **الهادي** – وهي صيغة اسم الفاعل من الفعل **هدى** – في (الجاهلية)، الرجل الذي لديه معرفة متخصصة بالطرق الممكنة في الصحراء"[5]، بينما "يحتل مفهوم الهادي في العالم القرآني أيضا موقعا ذا أهمية حيوية، إلا أن **الهادي** في القرآن هو الله نفسه، الذي لا يضل أبدا. وهو لهذا، جدير بالثقة بشكل مطلق...فقد نقله من مجاله المادي البحث في الحياة الإنسانية إلى مستوى التصور الديني للحياة الإنسانية"[6].

وتبقى العبادة الوسيلة السامية في الاتصال غير اللفظي الذي يقوم به الإنسان اتجاه الله تعالى، وتعتبر الصلاة النظير الإنساني للتواصل مع الإله، فيما يخص التواصل غير اللغوي في الاتجاه الصاعد، أي من الإنسان إلى الله تعالى، لأنها" تعبير ذو هيئة خاصة عن الإجلال العميق الذي يشعر به الإنسان في حضرة الله"[7].

ج- العلاقة الأخلاقية بين الله والإنسان

في سياق العلاقة الأخلاقية الواقعة بين الله تعالى والإنسان، يميز إيزوتسو بين مفهوم الإله في التفكير الديني الإسلامي وفي العصر الجاهلي، وذلك من خلال وصفه بصفات العدل والخير، وصفات أخرى التي تشكل بنية الدين الإسلامي، جمعها إيزوتسو في عبارة **المبادرة الإلهية بطريقة أخلاقية** اتجاه الإنسان، وهكذا أصبح لزاما على الإنسان أن يستجيب لهذه المبادرة بالطريقة

---

[1] المرجع السابق، ص 217.

[2] توشيهيكو إيزوتسو، الله والإنسان في القرآن: علم دلالة الرؤية القرآنية، ص 217 - 218 بتصرف.

[3] المرجع السابق ص 223 بتصرف.

[4] المرجع السابق، ص 227.

[5] المرجع السابق، ص 231.

[6] المرجع السابق، ص 231.

[7] توشيهيكو إيزوتسو، الله والإنسان في القرآن: علم دلالة الرؤية القرآنية، ص 233.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

الأخلاقية الصحيحة. فالأخلاق لم تبق مجرد سلوك إنساني مجرد عن كل نفس ديني، بل أصبحت" جزء متمم للدين، والدين كله متأصل فيه، ويعتمد على استجابة الإنسان الأخلاقية.

يرى إيزوتسو أن إله القرآن، من الناحية الدلالية، يتكشف عن وجهين متناقضين، فهو إله للخير والكرم المطلقين، وللحب والرحمة التي لا تنتهي للذين يختارون **الإيمان والشكر**، وهو إله العقاب لأولئك الذين يختارون **الكفر**، ويرفضون بعناد التواضع أمام الله.

وتبقى استجابة الإنسان الصحيحة للأخلاق الإلهية، بتعبير إيزوتسو[1]، ممكنة" على أساس الفهم والتقييم الصحيحين للآيات الإلهية. ولن يكون **الشكر** بهذا الفهم ممكنا إلا عندما يستوعب الإنسان معنى الآيات"[2]، وعبر عن هذه العلاقة بين الإله القرآني والإنسان بخطاطة نموذجية تجلي الترابط المفهومي الذي يخص هذه الظاهرة.

الآيات ← العقل ← الشكر

من هنا أصبح الشكر مفهوما دينيا لأول مرة في تاريخ الأفكار عند العرب، وأصبح يمثل **القسيم الإنساني** للخير الإلهي الجوهري. في مقابل الشكر على النعم يمكن أن يستجيب الإنسان بالكفر، أي كفر النعمة، وهنا أيضا يركز إيزوتسو على ارتقاء القرآن بالبنية المفهومية لكفر النعم إلى المستوى الديني، التي تدفع" للعمل على المستوى الأرقى للعلاقة الروحية بين الله، تعالى، والإنسان...وطبيعي تماما أن يتطور مفهوم الشكر في هذا الحقل الدلي الخاص إلى مفهوم **الإيمان** بسهولة. وتبعا لذلك، يتحول مفهوم الكفر نفسه، إذ يفقد بسرعة معناه الدلالي الأصلي **الجحود**، إلى مفهوم **عدم الإيمان**. ومن هنا يصبح في تضاد مفهومي مباشر مع الإيمان"[3].

وعلاقة بالشكر وبالكفر ختم إيزوتسو الحديث عن العلاقة الأخلاقية بين الله والإنسان بالتبشير الذي يتضمنه مفهوم **الوعد**، وبالنذير الذي يتضمنه مفهوم **الوعيد**[4].

لقد تقرر معنا في ما سبق أهمية دراسة الاصطلاحات أو المصطلحات القرآنية لبناء معرفة جديدة قادرة على استيعاب الوقائع والمستجدات، والكشف عن النسق المرجعي القرآني، انطلاقا من مادته التي هي مصطلحاته، أو اصطلاحاته، حيث" إن المصطلح هو العلم"[5] فإذا كانت هذه قاعدة جميع العلوم، فالقرآن الكريم يتميز فيه المصطلح بميزات " تجعله أكثر اكتنازا من حيث هو تصورات وقضايا وإشكالات"[6]، وهكذا يمكن القول أن المصطلح القرآني قادر على توجيه المعرفة الإنسانية إلى الوجهة الصحيحة من خلال المفاهيم والتصورات ونقلها إلى الوجود بعد الاستيعاب وتحقيق مبدأ الاستجابة[7].

---

[1] توشيهيكو إيزوتسو، الله والإنسان في القرآن: علم دلالة الرؤية القرآنية، ص 356.

[2] المرجع السابق، ص 356.

[3] توشيهيكو إيزوتسو، الله والإنسان في القرآن: علم دلالة الرؤية القرآنية، ص 359 – 360.

[4] المرجع السابق، ص 368 ومابعدها.

[5] فريد الأنصاري المصطلح الأصولي عند الإمام الشاطبي، معهد الدراسات المصطلحية والمعهد العالي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى 2004م ص 11.

[6] المرجع السابق، عندما تحدث الدكتور فريد الانصاري عن أهمية المصطلح في العلوم الشرعية.

[7] يطلق عليها الدكتور فريد الانصاري **الامتثالية**، انظر الصفحة 13 من المرجع السابق.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

ورعى القرآن الكريم وسائل المعرفة الإنسانية رعاية كاملة، وأحاطها بضوابط تجعل منها قادرة على النظر والتدبر في آياته واصطلاحاته، وهكذا يمكن الحديث عن وظائف المصطلح القرآني، الذي استخدمه الله، فارتقى به إلى " المصطلح المحكم الدقيق خلافا للتصورات البلاغية البشرية العامة، فاستخدام القرآن للمفردة اللغوية يعطيها الطابع المرجعي المرتبط بدلالة المفردة أينما استخدمت في القرآن"[1].

خاتمة:

إن كلمات القرآن الكريم متناهية إحصائيا، لكن غير متناهية من حيث المعاني والمفاهيم، وتشكل بناء مصطلحيا منظما يخاطب الإنسان، ويشعره بوجوده في الحياة الدنيا ويصف الحياة بعد الموت، وبالتالي يتميز القرآن الكريم ببنائية خاصة، سواء على المستوى المصطلحي أو على المستوى المعنوي، فضلا عن الترتيب والتركيب التوقيفيين، كل هذه السمات أعطت للقرآن وحدته العضوية، فالمصطلح القرآني واحد لا يتبدل ولا يتغير لكن قراءاته تختلف.

تُحدث قراءات المصطلح القرآني بين النص القرآني والواقع علاقات متعددة يمكن إجمالها في علاقتين، العلاقة الأولى تتخذ مسارها من الأعلى إلى الأدنى، من عند الله تعالى إلى الواقع الإنساني، وعلاقة ثانية تنطلق من الأسفل إلى الأعلى،

فالتحليل الدلالي لمصطلحات القرآن الكريم، كفيل لجعل الناس يستخدمونها كأداة لفهم العالم الذي يحيط بهم وتفسيره، فضلا عن استخدامها كأداة للكلام والتفكير، والكشف عن المناهج الموجهة والمؤثرة في الواقع.

[1] منهجية القرآن المعرفية لأبي القاسم حاج حمد، ص 208.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المصادر والمراجع:

- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، الطبعة السادسة، 2008م
- موسوعة لالاند الفلسفية، لرولاند بارت، درس السيميولوجيا، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثالثة، 1993م
- فيرديناند دوسوسير، علم اللغة العام، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بدون سنة.
- أحمد يوسف، القراءة النسقية: سلطة البنية ووهم المحايثة، الدار العربية للعلوم – ناشرون، الطبعة الأولى، 2007م.
- محمد أبو القاسم حاج حمد، منهجية القرآن المعرفية، تحقيق محمد العاني، دار الهادي، بيروت، لبنان،2003م.
- توشيهيكو إيزوتسو، الله والإنسان في القرآن، ترجمة هلال محمد الجهاد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2007م.
- رشيد الحمداوي، وحدة النسق في السورة القرآنية، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد الثالث، 2006م.
- أحمد أبو زيد، عنوان مدخل لدراسة جهود المفسرين في تفسير المصطلح القرآني، مجلة دراسات مصطلحية، العدد الثاني 1423ه- 2002م.
- أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان بدون سنة الطبع.
- الشاهد البوشيخي، نحو تصور حضاري شامل للمسألة المصطلحية، مجلة دراسات مصطلحية، العدد الثاني2002م.
- باب العياط نور الدين، النص القرآني دراسة بنوية، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران أحمد بن بلة، الجزائر، السنة الجامعية2015/2014.
- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز.
- أدونيس، النص القرآني وآفاق الكتابة، دار الآداب، بيروت، لبنان، بدون سنة الطبع.
- محمد أبو القاسم حاج حمد، ابستمولوجية المعرفة الكونية، دار الهادي، الطبعة الأولى، 2004م.
- أكسل هونيت ، التشيؤ: دراسة في نظرية الاعتراف ترجمة وتقديم الدكتور كمال بومنير، مؤسسة كنوز الحكمة، الطبعة الأولى، 2012م.
- علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، دار الصميعي، الطبعة الأولى، 2003م،
- فريدة زمرد، القراءة النسقية للقرآن الكريم عند المستشرق الياباني: إيزوتسو توشيهيكو، سلسلة الإسلام والسياق المعاصر، العدد 78 الصادرة عن الرابطة المحمدية للعلماء.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

- يحيى آل دوخي، المنهج القرآني في تأصيل العقيدة، دراسة تحليلية تطبيقية، مجلة الدليل، العدد الأول، السنة الأولى، 2017م .
- محمد أبو القاسم حاج حمد، جدلية الغيب والإنسان والطبيعة، العالمية الإسلامية الثانية، دار الهادي، الطبعة الأولى، 2004..
- فريد الأنصاري المصطلح الأصولي عند الإمام الشاطبي، معهد الدراسات المصطلحية والمعهد العالي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى 2004م.
- Les Eléments de sémiologie ; Roland Barthes, 1964
- Cours de linguistique générales, Ferdinande de Saussure, Payot, Paris, 1971.
- le coran par lui-même, Anne-Sylvie Boisliveau, Brill, LEIDEN. BOSTON, 2014.
- www.larousse.fr/dictionnaires/francais/syst%C3%A8me/76262

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/